الفهم العربي للمسألة اليهودية

الدكتور كلوفيس مقصود

ان ما اصطلح على تسميته بالمسألة اليهودية ليس بالنسبة لنا نحن العرب سوى نتيجة للاستعمار الصهيوني لفلسطين ، فاهتمامنا في السابق كان موجها بشكل رئيسي لهذا الاستعمار ، ولكن في أعقاب النكسات العربية المتتالية، من جهة ، والنجاحات الصهيونية في تأسيس المستعمرات ومن ثم الدولة الصهيونية ، من جهة أخرى ، أصبح لزاما على العرب أن لا يركزوا اهتمامهم فحسب على عملية الاستعمار الصهيوني لفلسطين ، بل أن يبحثوا كذلك عن الاسباب الكامنة وراء نجاح الحركة الصهيونية في استقطاب قطاع كبير من اليهود في جميع أنحاء العالم الى جانبها . وهنا لا بد من التنويه الى أن الحركة الصهيونية لم تنجح في جعل غالبية اليهود يعتنقون مبادءها ، ولكنها نجحت ، عوضا عن ذلك ، في اسكات عدد من اليهود وتحييد يهود آخرين كان من الممكن ان يعارضوا بل ويناهضوا معتقداتها الفلسفية واهدافها السياسية . وعلينا أن نشير أيضا الى أن هناك مسألة يهودية بالنسبة للعرب تختلف في طبيعتها عن التحديدات والتعريفات التي يعطيها غيرهم لما أصبح يسمى بالمسألة اليهودية . فالعرب يرون ان هذه المسألة برزت عندما اصبح واضحا ان هدف المستعمرين الصهيونيين هو تأسيس دولة يهودية في فلسطين على حساب طرد شعب فلسطين الاصلي من هذه البلاد . ومن هنا ، يمكننا أن نعتبر ان اسرائيل دولة يهودية ، وبالتالي مسألة يهودية ، ومع هذا فهي ليست مشكلة بالنسبة لليهود بقدر ما هي كذلك بالنسبة للعرب . ولكن ، ماذا يعني كل هذا ؟ ان اول ما يعنيه ذلك هو أن الحركة الصهيونية نجحت في اقناع يهود العالم وكذلك قطاع كبير من غير اليهود ان هناك مسألة يهودية وان الصهيونية هي الحل الصحيح لها. ولما عقدت الحركة الصهيونية العزم على اقامة دولة صهيونية في فلسطين اصبحت المسألة اليهودية ، او ما سمي بالمسألة اليهودية، مشكلة عربية ، ولذا فقد كان علينا ان نتخطى العمل لمجابهة الاستعمار الصهيوني الى ادراك اسباب هذه المشكلة وتحديد ابعادها .

نعتقد ان هذه المسألة برزت كرد فعل لمعاداة السامية التي كانت تمارسها المجتمعات الغربية والاوروبية ، بما في ذلك روسيه القيصرية ، ضد اليهود الذين كانوا يعيشون في هذه المجتمعات ، انها مشكلة نجمت عن أزمة القوى الليبرالية والديمقراطية والاشتراكية في العالم التي لم تتمكن من اقامة المؤسسات الضرورية وتهيئة المناخ الملائم لتعايش شعوب ذات معتقدات وأجناس متباينة . وبشكل عام ، لو افترضنا ان هذه مشكلة ، فانها كانت كذلك وبشكل محدد بالنسبة لكثير من معتنقي الديانة اليهودية . واذا كان الامر كذلك ، فان هناك مشكلة يهودية ، ولكنها لا تختلف ولا يمكن ان تنفصل عن مثيلاتها من المشاكل التي تعاني منها المجتمعات المتعددة الاجناس والاديان والقوميات . بالطبع حاول الصهيونيون تثبيت الانطباع بأن المسألة اليهودية ليست سمة من سمات المجتمعات التعددية بل قضية خاصة باليهود انفسهم الامر الذي أضفى عليها مزيدا من الحصر والخصوصية وأعطاها بعدا فكريا جعل العالم ينظر اليها ليس كاحدى المشاكل التي